# الآن... أو لا يبقى شيء، ولا يبقى أحد!

وبعد ربع قرن من الدراسات والبحوث الأكاديمية الهادفة والمعمَّقة، ومن التجارب العملية المتنوّعة والموسَّعة، ها قد وصلت مجدَّداً إلى ما دفعني للانطلاق ومن البداية في رحلة استقصائية طويلة لمكونات وفروع مختلفة لعلوم سياسية و"علاقات" دولية و"أمنية" كنت أشعر بفداحة الاستهتار في عملية مراجعة مبادئها وقواعدها، وفي حضارة "اصطناعية" جافّة ومتفلّتة، وفي عالم "صُنَّاعي" مادي ومتحرّر من كل الضوابط والأخلاقيات.

في الأفق تلوح حُمرَةُ ثورةٍ فرنسيةٍ جديدة (وثوراتٌ عالميةٌ مدمِّرة) ظنَّ المستهترون أنها لن ولا يمكن أن تعود. ثوراتٌ همجيّةٌ قادمة لا يمكن لأحدٍ استباقها إن لم يُسمَح للعقلاء (ومن كل الفرقاء) الآن استدراك مقدِّماتها. نهاية الاستهتار بمصالح (وبـ "وجود") الناس ستكون وخيمة، والرهان على "استحمار" الآخر تجارة خاسرة. تقديم أولوية تنمية الحجر على تنمية البشر مآله إعادة للبشر ولكل المجتمعات البشرية إلى العصر الحجري.

**خمس وعشرون سنة من الدراسات والتجارب ألخِّصها بما يلي:**

يعيش الناس والعالم اليوم أسوأ مخلّفات ما يسمّى بـ '**الواقعية السياسية**'

من **انعدام للثقة** (بين الحلفاء والأعداء على حدّ سواء)،

وفي **عالم فوضوي لا يأمن فيه أحد لأحد**.

ومما أنتجته و"فرضته" هذه "الواقعية" أننا نعيش في **عالَم تنعدم فيه "المساحات المشتركة"**

(عالَم الـ Billiard Balls، وطبقاً للنموذج الذي قدمه العالِم الإنكليزي John Dalton)

يُفترَض منا (وفي ظل واقع انعدام الثقة) بناء **الدفاعات العدائية** ضد بعضنا البعض

(حتى بين الحلفاء... *إذ أن حليفك اليوم حليفك يمكن أن يصبح غداً عدوّك*).

هذا ما نعيشه وعشناه وعلى مدى السنوات الأربع والسبعين الماضية...

وما يميّز اليوم عن الأمس ما نواجهه الآن من **تهديدات مشتركة**

يستحيل مواجهتها من دون تعاونِ مختلفِ الجهات المهدَّدة؛

تعاونٌ مستحيلٌ بدوره من دون شيء من **الثقة المتبادلة**

بين الحاضر الفاعل من مكوّنات الساحة الجامعة

وعلى المستوى الدولي والإقليمي والمحلي.

هذا "الشيء" من الثقة المتبادلة لا يُبنى بالاتفاقيات ولا بالمعاهدات، ولا يحصل "بين ليلة وضحاها"،

(ومن يتخلّى عما تفرضه الواقعية السياسية من "احتياطات لازمة" خاسِرٌ مُهلِكٌ لنفسه)

إنما دون تحقيقه **أخلاقيات وممارسات ليتدرّب "المُمَيَّزون" على إتقانها**...

وهذا ما سنتعاون فيه، ونسعى عن طريق 'المستشارية' إليه.

وفي إحدى اللقاءات المناطقية قلتُ للحاضرين لو أن الهدف من لقائنا هذا كان خيرياً، أو أي عملٍ أخلاقيّ، لما حضرت كل هذه الوجوه على اختلافها، ولكان قد طلب البعض منا تأجيل الموعد لوجود أولويات عنده. ثم لو أن الهدف من اللقاء كان من أجل مصلحة ما (خاصة أو مشتركة)، لما استحوذ على اهتمام الكثيرين، فلكل منا (سواء على المستوى الفردي أو الجماعي)، وفي ظل اختلاف حسابات الربح والخسارة، "مصالحه".

ولكن، إن قلت أنَّ سبب اللقاء معلوماتٌ تشير إلى احتمال انهيار المبنى الذي نحن فيه بعد خمسة أيام! فمن كان ليتجرّأ منكم على تجاهل، أو على الاستخفاف أو التخاذل، أو على التباطؤ في التأكُّد مما أدّعيه؟ هناك احتمال في أن أكون كاذباً أو "مهوِّلاً"، أو أن أكون في ما أعتقده وأحذركم منه مخطئاً أو مبالغاً فيه. إلاّ أن حساسية هذا التهديد الوجودي تستلزم السرعة لاستباق الحدث مع الدِّقّة المتناهية في معالجة الأمور.

وكما أنَّ للتحقق من سلامة البناء متخصِّصيه من المهندسين (من غير بائعي الخضار أو الأطباء البارعين)، فلمن يُختار ليتولّى مهمّة التحقُّق من حقيقة أمر المخاطر المحدقة مهنيّون حقيقيّون متجرِّدون ومتكاملون، خلاصةَ "انسجامٍ رؤيويّ" وعمليّ... ولمن سيتولّى أمر معالجة الأمر أن يكون (أو أن يتدرّب ليكون) "قادراً"، مُحترَماً بعين العامّة، صاحبَ هيبةٍ أمام "الخاصّة" بدقة استيعابه لما تواجهه الكيانات اليوم من تهديد كياني.

ما يواجهه الناس (وكل الكيانات القائمة) اليوم من تهديد حقيقي شامل و"وجودي" لم يعُد من المقبول "أبداً" السماح لما يؤَمْنَن من تهديدات (في كل الساحات وعلى كل المستويات) صرفَ أنظار وعقول العقلاء عنه. هناك تهديدات حقيقية اقتصادية ومناخية قادمة، يفوقها خطورةً ما يُستهتَر بـ "خرابه" من "تهديد اجتماعي". مخاطر الانتظار لم تعد مقتصرة على حقيقة هذا التهديد الشامل، إنما في واقع اقترابنا لنقطة اللاعودة فيه.